aتمهيد :

إنّ اللّغة في أساسها حسية انفعالية ، و إذا أريد لها أن تكون علـــــمية مـــــعبرة عن التصورات العقلية ، فلا مندوحة من انتزاع العناصر الانفعالية والحسية التي صاحبتها في وضعها الأول . لتصبح رموزا مجردة دقيقة خالية من الشوائب ، و لتعبر عن المعقولات و المفاهيم ، و تطلق على موضوعاتها إطلاقا محددا لا احتمال فيه ولا اشتراك ولا تشكيك ولا ترادف ولا مجاز ، مما يفتح ثغرات يجد فيها التأويل منفذا ، فلا يبقى المعنى خالصا واضحا لما أحاط به من ضباب[1].

وهذا ما جعل الفلاسفة و العلماء يهتمون بتحديد مصطلحاتهم ، إذ شـــعروا أنّ كـــثيرا من الاختلافات المذهبية منشؤها خلط في استعمال الحدود ، وغموض في الألـــــــفاظ والمصطلحات ، مما يؤدي إلى سوء تفاهم بين المفكّرين اللّذين تخصّصوا في علم عـــــلـــم وفي صناعة صناعة. قال الفارابي (ت 339 هـ ــ 951 م) : " **والمعارف المشتركة التي هي بادئ رأي الجميع في الزّمان من الصّنائع العمليّة ، ومن المعارف التي تخصّ صناعة صناعة.** " [2]

والحديث عن المصطلح في أيّ علم من العلوم هو ضرورة ملحّة ، دعت إليها الاحتياجات العلمية المتخصّصة . و المصطلح من حيث وُجوده يُعَدُّ نتاج العلم وخلاصة حقائقه ، ومَعْلَمَ تمايزه عن غيره ، و تَخَصُّصِهِ بذاتِهِ . ولذا فإنَّ مفاتيح العلوم هي مصطلحاتها ، و مصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية ، و عنوان ما به يتمّز كلّ واحد منها عمّا سواه .[3] وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطـــق

---

[1] ــ ينظر : اصطلاحات الفلاسفة "عمار طالبي" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1983 م ، ص 5 .

[2] ــ كتاب الحروف : "أبو نصر الفارابي " ، تحقيق : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، دط ، 1970 م ، ص 134.

[3] ــ قاموس اللسانيات : " عبد السلام المسدي " الدار العربية للكتاب ، دط ، دت ، ص 1 و ينظر : مجلة المصطلح ، مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية المصطلح و تعريبه و ترجمته إثراء للغة العربية المعاصرة ، تصدر عن مخبر " تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية " من مقال بعنوان : ــ المصطلح الصرفي في شافية ابن الحاجب ــ " صفية مطهري " تلمسان ، العدد 2ــ 2 ــ 2003 م ، ص 31.

العلم غير ألفاظه الاصطلاحية ، فإذا استبان خطر المصطلح في كل فن ، توضّح أنّ السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سُوره الجامع و حِصْنَهُ المانع ، فهو كالسّياج العقلي الذي يُرسي حرماته راديا إياه أن يلابس غيره وحاظرا غيره أن يلتبس به فالوزن المعرفي في كل علم رهين مصطلحاته .[1] وما دُمنا في صدد الحديث عن المصطلح فإنّهُ ليَحْسُنُ بنا أن نحدّد معناه ، ونستجليَ المقصود منه.

أوّلا : مـــفـــهـــــوم الـــمصـــطـــــلـــح

قبل أن نبدأ بتتبّع أصول التفكير الاصطلاحي عند الفلاسفة المسلمين ، والمراحل التي قطعتها مصطلحاتهم حتى استقرّت على دلالتها العلمية يجدر بنا أن نعرض لمعنى لفـــظـــة " مصطلح " من حيث اللغة والاصطلاح .

1 ــ لـــغـــة :

إذا استشرنا المعاجم العربية القديمة فيما حملته في مادة (صلح) وجدنا الأزهري (ت 370 هـ) يقول : الصّلح : تصالح القوم بينهم ، و الصّلاح نقيض الفساد والاصطلاح نقيض الإفساد ، تصالح القوم و اصّالحوا واصطلحوا بمعنى واحد [2] ، وقد درجت معاجم اللغة على هذا المعنى في أصل (المصطلح) .[3]

2 ــ اصـــــطـــلاحـــــا :

لم تذكر المعاجم و كتب اللغويين الأوائل تعريفا اصطلاحيا للمصطلح ، إلاّ السّيّد الشريف الجرجاني (ت816 هـ) الذي عرّفه بقوله : **" هو عـــــبارة عـــــن اتّفاق قوم**

---

[1] ــ قاموس اللسانيات ص 1 .

[2] ــ تهذيب اللغة " أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري" ، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1425 هـ ، 2004 م . 3 /287 ــ 288.

3 ــ ينظر على سبيل المثال : لسان العر ب " جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري " راجعه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه : عامر أحمد حيدر ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1، 1424 هـ ، 2003م ، مادة (صلح) 2/ 610 ــ 611 ، وينظر : معجم متن اللغة " الشيخ أحمد رضا " دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دط ، 1378هـ ، 1959م ، 3/ 478.

على تسمية الشّيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل." [1]

واهتمّ اللغويون المتأخّرون بذكر تعريف للمصطلح على التحديد بعد القرن الثامن الهجري على لسان **" محيي الدين الكافيجي "** (ت 879 هـ) ، وهو من كبار علماء الحديث واللغة و الأدب ، والذين تطرقوا إلى المصطلح ، فقال إنه : **" ألفاظ مخصوصة موضوعة لمعانٍ ، يمتاز بعضها عن بعض ، باعتبار قيد يميّزه عنه ، و سبب إطلاقها عليها هو الاتّفاق على وضعها لمعانٍ لتحصل عند استعمالها مع أدائها إصلاح المعاني ، ودفع فساد التباسها بعضها ببعض."** [2]

وعرّفه غيره بقوله هو : **" العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبّر عنها."** [3] أي وجود قرينة معنوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ، أو وجود قرينة وصفية بين المعنيين .

وانتشرت لفظة **" مصطلح "** بين المحدثين ، فتوالت التعريفات الاصطلاحية لها ، ومنها: **" المصطلح العلمي هو لفظ اتّفق العلماء على اتّخاذه للتّعبير عن معنى من المعاني العلمية ، و الاصطلاح يجعل إذن للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللّغوية أو الأصليّة."** [4]

---

[1] ــ التعريفات " السيد الشريف الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي "، وضع حواشيه و فهارسه ، محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1424 هـ ، 2003م ، ص 32

و ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، "محمد علي التهانوي "، تقديم و إشراف و مراجعة ، رفيق العجم ، تحقيق : علي دحروج ، مكتبة لبنان ، ط1، 1996 م ، 212/1 ، وينظر : الكليات " أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي " ، قابله على نسخة خطية و أعده للطبع ووضع فهارسه : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 129 .

[2] ــ مصطلحات الدلالة العربية ــ دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ــ " جاسم محمد العبود " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط1، 1428 هـ ، 2007م ، ص15 ، نقلا عن : المختصر في علم الأثر " محيي الدين الكافيجي " ، ص 112.

[3] ــ مجلة اللسان العربي من مقال بعنوان ــ النظرية العامة لوضع المصطلحات و توحيدها و توثيقها ــ " علي القاسمي" ، العدد 18 1980م ، ص 9.

[4] ــ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم و الحديث " مصطفى الشهابي " ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1416 هـ ، 1995م ص6 .

ونجد كثرة تعريفات المصطلح حديثا دلالة الاهتمام بعلم المصطلح ، الذي يشارك العلوم كلها دون استثناء ، بل هو عامل مهمّ فيها ، كلّ حسب اختصاصه ، فكلّ العلوم لا تعدّ علوما إلاّ بوجود مصطلحات لها . فالمصطلحات ركن أساسي لاستقامة العلم ، وبرهـــان قاطع على سلامة فكر الأمّة وحيويّة لغتها .[1] فكلّ علـــــم لا ينهض و يسمـــّى علما إلاّ بالمصطلح ، فمن منّا عرف علما من غير مصطلحات ؟

والمصطلح هذه الكمية الصوتية ، و الشحنة الدلالية توفر الجهد ، و تختصر المسافة وتُقرّب الزمن في عمليتي التوصيل و التحصيل . فبأقلّ مجهود نحصل على أكبر مردود ولـــــولا المصطلح ما قامت حياة طيّبة فوق الأرض ، ولتكبّد الإنسان المشقة الكبـــرى في حياته وتزداد هذه المشقة صعوبة مع مرور الزمن. كما أنّ للمصطلح دورا في بعث الاقتصاد وتنظيم إدارة المجتمع ، فبالمصطلح لا يغيب شيء عن مذكرة المجتمع .

والحقيقة تُذكر : إنّ للعرب ــ لغويين كانوا أم فقهاء أم فلاسفة ــ دورًا مهمّا في علم المصطلح ، و بحثُوه باسم آخر و هو " **الحدّ** " [2] . و كثرت مُؤلّفاتهم فيه التي حملت هـــذا الاسم منها : **الحدود لجابر بن حيّان** (ت 198هـ) ، **ورسالة الكندي** (ت 256 هـ) **الموسومة ب : في حدود الأشياء و رسومها، والحدود في النحو للرّماني** (ت 384هـ) **ورسالة ابن سينا** (ت 428 هـ) **الموسومة كذلك ب : في حدود الأشياء ورسومهـــا** والتي قامت الآنسة " **غواشون** " بترجمتها إلى الفرنسية.[3] **و الحدود الفقهية لابن عرفة** (ت 803هـ)...وغيرها كثير.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أنّ هذه الرسائل الموضوعة في الحدود ، تمثّل بواكير التّأليف للمصطلح عند الفلاسفة ممّا جعلهم يُقدمُون أعمالاً ناضجة .[4]

---

[1] ــ ينظر المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب ــ رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ــ " المهدي بوروبة " ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة حلب ،1409هـ ، 1989م ، ص ب من المقدمة .

[2] ـ مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص 16.

[3] ــ اصطلاحات الفلاسفة ، ص 6.

[4] ــ ينظر : النظرية اللسانية و البيانية عند ابن حزم الأندلسي " نعمان بوقرة " منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2004م ، ص 57 .

وسنعرض لإسهامات كلّ من الكندي و الفارابي و ابن سينا في مجال الحقل الاصطلاحي.

3 ــ مفهوم المصطلح عند الفلاسفة :

المصطلح العلمي يتّصف بالتّحديد النّافي للجهالة و الغموض ، ربّما لأنّه أكثر ارتباطا بوقائع محسوسة ، فإنّ المصطلح الفلسفي يصِفُهُ الفرنسيـــــون بأنّهُ متـــــعدّد المعـــنى polysemique أو plurivoque ، ومن هنا كان تحديد المعنى أو تعريف المصطلح هو نقطة الانطلاق الأولى بالنّسبة للفلاسفة.[1]

أ ــ المـــصـــطلـــح عـــند الكـــنـــدي :

الكندي هو أول مفكر عربي خاص في الموضوعات العلميّة ، و عالجها باللغة العربية . فكان عليه وهو المطّلع على آراء الأوائل أن يُعرّفَ أبناء قومه مذاهب لم يألفـــــوها من قبل . و يتناول موضوعات جديدة لا عهد لهم بها. وقد تعثّرت هذه الخطوة بكـــثير من العقبات ، كان من أشدّها إيجاد التّعابير العلميّة ووضع المصطلحات. ومن هنا عنايته الكبيرة بالتّحديد و التّعريف و الدّقّة والإيضاح في استعمال الألفاظ والمعاني. بل له رسالة خاصّة بالتّعريفات هي : **" رسالة في حدود الأشياء ورسومها "** يُمكن النّظر إليـــــــها على أنّها أوّل قاموس وصل إلينا للمصطلحات العلميّة عند العرب . فهي تشهد له بطول الباع في اللغة ، وبسعة الاطّلاع على العلم وفروعه. فقد عالج الكندي في هذه الرسالة مشكلة **" المصطلح "** ببصيرةٍ نيّرةٍ وقريحة خلاّقةٍ ، وكتبها بلغة عربية سليمة. فلجـــــأ إلى التّعريب آناً ، وإلى الوضع و النّحت آناً آخر، وإلى إحياء كلمات عربية قديمة تارة وإلى توسيع الدلالة اللّفظيّة للكلمات حينا ، وبالاشتقاق حينا آخر. و هكذا أثبتت اللغة العربية بألفاظها و تراكيبها أنّها لغة حضارة بالدرجة الأولى.[2]

---

[1] ــ الفلسفة و اللغة " عبد الوهاب جعفر "، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط2 ، 2004 م ، ص 97.

[2] ــ ينظر : الكندي ، فلسفته " محمد عبد الرحمن مرحبا "، منتخبات منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 م ص 15 ــ 16 .

ويُشير أحد الدارسين إلى أنّ الكندي " **ينفردُ بأنّهُ إذ يُحاول وضع الاصطلاح يعمدُ أحيانا إلى إحياء كلمات عربية قديمة*** قد أوشكت أن تسقط من الاستعمال ، مثل كلمة (الأيس) . للدلالة على الموجود بالإجمال ثم يجمعها (أيسات) للـــــدلالـــــــة على الموجودات ثم يشتق منها لفظ (الأيسة) للدلالة على حالة الوجود1 . كما يشـــتق من هذه الكلمة أيضا الفعل (أيّس) والمصدر (التّأييس) واسم الفاعل (مؤيِّس) واسم المفعـــول(مؤَيَّس) . وبذلك يصبح تحديد الفعل الإبداعي الحقيقي عنده " **تأييـــــــس الأيـــسات عن ليس**" أي : **إيجاد الأشياء من العدم**[2].

وعليه ، يمكننا القول أنّ الكندي رائد في ميدان لم يسبقهُ إليه أحد ، إنّه يطرق مواضيع جديدة ، و يقتحمُ مجاهل كانت في عصره لا تزال بِكرا ، فإنّ اختيار الألفاظ وتطويعها للأغراض الجديدة ، و توجيهه الأسلوب العربي البدوي القُـحّ توجـــيها حـــضاريا وتحويل العربية من لغة مرتبطة ببيئتها إلى لغة القلم و العلم كل أولئك ليس بالعمليّة السّهلة التي تُتاح لكلّ أحد . إنّ معارفه جديدة وآراءه لا تزال في طور التّمهيد.

ب ــ المـــصـــطـــلـــح عـــــنـــد الفـــارابـــي:

لا شكّ أنّ الفارابي يعرف جيّدا أنّ في تأسيس المصطلح بصفة عامـــــــة و المنطقي بصفة خاصّة صعوبة ، يقول : " **إنّ نقل ألفاظ من استعمالها العادي الذي ترسّخت فيه أو من استعمال مخصوص في أحد العلوم الخاصّة بالمجال التّداولي الأصلي...إجراء غير مأمون العواقب في أكثر المجالات مدعاة لسوء الفهم ألا و هو المنطق** ."[3] لذلك نجد الفارابي يؤكّد و في أكثر من مناسبة و أكثر من سياق أنّـــــه

---

* ــ لقد أشار الكندي بفكرة" إحياء الكلمات العربية القديمة" لنفس ما أشار إليه أعضاء المجمع العلمي العراقي ، إذ نصّ هذا الأخير على وُجوب التزام ما استعمل أو ما استقر قديما من مصطلحات عربية. ينظر: معجم النقد العربي القديم " أحمد مطلوب " ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1989 م ، 1/ 14.

1 ــ الكندي فلسفته ص : 16 ــ 17 نقلا عن : رسائل الكندي الفلسفية1/ 20ــ 21.

2 ــ نفسه : ص 17 .

3 ــ ينظر : النحو العربي و المنطق الأرسطي ــ دراسة حفرية تداولية ــ " الأزهري ريحاني " ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين جانفي، دط ، 2005 م ، ص 216 .

يُؤَسّسُ لمصطلحات و مفاهيم جديدة في التّداول المعرفي ، ومن هنا يُصوّر لنا في إحدى فقرات كتابه " **الحـــروف** " في سياق التّأسيس للفلسفة في الثّقافة العربية الإسلامية الظّروف التي واكبت انتقال الفلسفة إليها ، والكيفيّة التي تأسّست بها مصطلحاتها فيها يقول : " **فإذا كانت الفلسفة انتقلت إليهم [العرب] من أمّة أخرى ، فإنّ على أهلها أن ينظروا إلى الألفاظ الـــتي كانت الأمّة الأولى تُعبّر بها عن معاني الفلسفة ، و يعرفوا عن أيّ معنى من المعـــــــاني المشتركة معرفتها عند الأمّتين هي منقولة عن الأمّة الأخرى. فإذا عرفـــوها أخذوا من ألفاظ أمّتهم الألفاظ التي كانوا يعبّرون بها عن تلك المعاني العامّيّة بأعيانها فيجعلوها أسماء تلك المعاني من معاني الفلسفة.**" [1]

هذا في الوضع العادي ، غير أنّ المهمّة تكون أكثر صعوبة حين يتوجّب نقل أسماء معـــانٍ عامية عند الأمّة الأولى " **غير معلومة عند الأمّة الثانية و ليست لها عندهم لـــــــذلك أسماء.**"1 و هنا يرى الفارابي أنّ الأفضل هو أن يُتَخلّى عن أسماء المعاني المنقولة ، وأن يُستعان بألفاظ " **أقرب الأشياء شبهًا بها من المعاني العامية عندهم.**" 1 إذا كان بين معاني الأمّة الأولى و معاني الأمّة الثّانية شبه ، أمّا إذا لم يتوفر شرط الشّبه بين المعاني ـــ و هـــذا لا يكاد يوجد ـــ حسب الفارابي ففي هذه الحالة:

ـــ إمّا أن تخترع لتلك المعاني ألفاظا من حروف الأمّة الثّانية.

ـــ وإمّا أن يُستعان بأسماء أخرى في لغة الأمّة الثّانية.

ـــ وإمّا أن تُعرّب الأسماء المنقولة و في هذه الحالة يصبح معنى المصطلح غريبا[2].

وإذا ، توجد ثلاثة حالات مختلفة لدى محاولة نقل المعنى : يُتوفر المعنى في الأولى ، ويُتوفر شبه منه في الثّانية ، و ينعدم في الثالثة. و هذا هو تصوّر الفارابي للمصطلحات.

ج ـــ المـــصـــطـــلـــح عـــنـــد ابـــــن ســـيـــنـا :

يُشير ابن سينا إلى تفرّد الإنسان بظاهرة تُخُصّهُ ، ولا تُوجدُ عند الحيوان وفي هـــــذا

---

[1] ـــ كتاب الحروف : ص 157 ، 158.

[2] ـــ نفسه : 157 ـــ 161.

النـــص **تصوّر المعاني الكلّيّة العقليّة المجرّدة عن المادّة كلّ التّجريد...والتّوصّل إلى معرفة المجهولات تصديقا وتصوّرا من المعلومات."** [1]

وفي هذا النص يظهر رأي ابن سينا في أنّ الإنسان يتميّز بمعرفة أمور من أهـــــــمّها : **" الوضع أو الاصطلاح"** [2]. و يواصل ابن سينا حديثه عن الوضع مُقرّرا أنّ جـــــــوهر **" النفس الإنسانية مُستعدّ لأن يستكمل نوعا من الاستكمال بذاته و ممّا هو فـــــوقه لا يحتاج فيه إلى ما هو دونه ، وهذا الاستعداد له هو بالشيء الذي يسمى العـــــقـــل النّظري ، و مستعدّ لأن يتحرّر عن آفات تعرض له من المشاركة، و أن يـــــتـــصرّف في المشاركة تصرّفا على الوجه الذي يليق به ، وهذا الاستعداد له بقوة تسمىّ العقل العملي وهي رئيسة القوى التي له إلى جهة البدن ، فالاستعداد الصّرف من كل واحد منهما يسمى عقلا هيولانيا ، سواء أخذ نظريا أو عمليا ، ثم بعد ذلك إنّما يعرض لكل واحد واحد منهما أن تحصل لها المبادئ التي بها تكمّل أفعالها ، أمّا للعقل النّظري فالمقدّمات الأوّليّة و ما يجري معها، وأمّا للعملي فالمقدّمات المشهورة وهيئات أخرى فحينئذ يكون كلّ واحد منهما عقلا بالملكة."** [3]

وبالتّالي ، يمكننا القول إنّ فلاسفتنا كانوا على دراية شاملة بمفهوم المصطلح ، لدرجة أنّهم تعرّضوا في مؤلّفاتهم لأهمّ مقتضيات وضع المصطلح* ألا وهو : الحد ، إذ يُشكـــل هذا الأخير المدخل الأساس لتوضيح المصطلح ، و تحديد مفهـــــــومه الذي يتميّز بـــه عن غـــيره .

---

[1] ــ كتاب الشفاء ــ الفن السادس من الطبيعيات ــ " أبي علي الحسن بن عبد الله ابن سينا "، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، باريس ، دط ، 1982 م ، ص 203.

[2] ــ الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي " السيد الشرقاوي " مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1422هـ ، 2002م ص .72

3 ــ كتاب الشفاء ــ الفن السادس من الطبيعيات ــ ص 205 ــ 206.

* ــ من مقتضيات وضع المصطلح في العصر الحديث : المفهوم أو اللفظ المناسب ، الحد ، التعريف.ينظر : من قضايا المصطلح اللغوي العربي " الحيادرة مصطفى طاهر" عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 ، 1424 هـ ، 2003م ، الكتاب الأول ص 25 ــ 36.

و يعرفه ابن سينا بقوله : " **قول دال على ماهية الشيء**".[1] و هذا التعريف كان قد أشار إليه " **أرسطو**" من قبل في كتابه " **طوبيقا** " يقول :" **الحد القول الدال على ماهية الشيء ، أي على كمال وُجوده الذّاتي ، وهو ما يتحصل له من جنسه الـــــقـــريب وفصله** " [2].

نعم ، فالحد قد يُنبّه على تصوّر المحدود ، كما ينبّه الاسم. فإنّ الذّهن قد يكون غافـــــلا عن الشّيء ، فإذا سمع اسمه أو حدّه أقبل بذهنه إلى الشّيء الذي أُشير إليه بالاسم أو الحدّ فيتصوّره . فتكون فائدة الحدّ من جنس فائدة الاسم وهذا هو الصّواب .[3]فالحد إذن اسم جامع لكل ما يعرف التصور وهو : **القول الشّارح**[4]. وهذا المصطلح الأخير يُطلقه بعض المحدثين على التعريف ، يقول عبد الرحمن بـــــدوي : " **التعريف Definition و يسمىّ أيضا في كتب المنطق العربية القديمة : القول الشّارح هو مجموع الصّفات التي تكوّن مفهوم الشّيء مميّزا عمّا عداه ، وهو إذن والشّيء المعرّف سواء. إذ هما تعبيران أحدهما موجز و الآخر مفصّل عن شيء واحد بالذّات** ".[5]

والمصطلح الذي برع فلاسفتنا في تعريفه ، لدرجة أنّهم تعرّضوا لأهمّ النّقاط التي نـــــصّ عليها المجمع العلمي العراقي ، لابدّ وأنّ هناك ظروفا نشأ فيها ، وجعلته يتبلور ليـــــعبّر عن المعنى العلمي الدّقيق .

---

[1] ـ الإشارات و التنبيهات " أبي علي الحسين بن سينا" ، شرح : نصير الدين الطوسي و تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر دط ، 1960 م ، 1/ 249.

[2] ـــ رسائل منطقية في الحدود و الرسوم للفلاسفة العرب ، ـــ ابن حيان، الكندي ، الخوارزمي ، ابن سينا، الغزالي ـــ حققها و قدم لها وعلق عليها : "عبد الأمير الأعسم" دار المناهل للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1413ه ، 1993م ، ص 122.

[3] ـــ ينظر : كتاب الرد على المنطقيين ، تأليف : " الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني الدمشقي الحنبلي" ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424ه ، 2003م ، ص 36.

[4] ـــ نفسه : ص 4 .

[5] ـــ الموسوعة الفلسفية " عبد الرحمن بدوي "، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ص 423 ، 424.

ثانيا: نـــشـــأة المـــصـــطـــلـــحـــات العـــلمية عند الـــفلاسفة

لمعرفة بداية نشأة المصطلحات عند الفلاسفة ، لابدّ من الرّجوع إلى آثار الأوّلين لمعرفة أوّل من أحسّ بالحاجة إلى ضبط المصطلح العلمي ، و في رأي أرسطو أنّ الفضل في ذلك يرجع إلى سقراط (400 ــ 470 م) الذي اكتشف وظيفة الاستقراء في تحديد الصّفات المشتركة الدّائمة في الأشياء ، والتي تتمثّل فيها ماهيات الأشياء . وبالتالي يكون سقراط هو أوّل من اكتشف تحديد الماهيات. وبهذا يكون هو أوّل من انتبه إلى أهمّية ضبط المصطلح العلمي . و الذي يهمّنا في شهادة أرسطو هذه هو أنّ سقراط اكتشف وظـــيفة الاستقراء في بناء نظرية التعريف ، و لم يبدعها إبداعا ، إذ الاكتشاف إنما يكون لأمـــــر موجود . و معنى هذا أنّ الناس كانوا قبل سقراط يطلبون حقائق الأشياء ، إلاّ أنّهم كانوا يسلكون إلى ذلك سُبلا ذاتية ، ممّا نشأ عنه اختلاف المفاهيم بين الناس ، و يكون سقراط قد انتبه إلى وجود سبيل آ خر لضبط المفاهيم هو سبيل الاستقراء .[1]

وإذا كان لسقراط الفضل الأكبر في الانتباه إلى أهمية ضبط المفاهيم ، إلاّ أنّ نظريّة التّعريف التي تعتبر البوتقة التي تُصاغ فيها المفاهيم وتُحدّد بها المصطلحات لم تتبلور صيغتها الأوّليّة إلاّ مع أعمال أرسطو ، حيث أنّ نظريّة التّعريف لم تظهر في الفكر البشري لدى جماعـــة من الناس دون أخرى ، بل ظهرت على التّدريج في مختلف المجتمعات بحسب الاهتمامات الفكرية لكلّ مجتمع . وقد يحصل ذلك على التّوازي كما يُمكن أن يحـــصل على التّعاقب دون تأثير مجتمع في آخر ، أو عند تبادل التّأثير.[2]

وبعد هذا ينبغي لنا الآن أن نتساءل عن ظروف نشأة المصطلح العلمي ودواعي

---

[1] ــ ينظر : مجلة الحضارة الإسلامية ، عدد خاص بالملتقى الدولي حول المصطلح العلمي في التراث الإسلامي و العلوم الشرعية الإنسانية ، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي ، من مقال بعنوان ــ النشأة الإسلامية لمصطلحات علم الكلام و الفلسفة الإسلامية ــ " محمود يعقوبي " وهران ، العدد 3 رجب 1418هـ ، نوفمبر 1997م ، ص 140.

2 ــ نفسه : ص 141.

الاهتمام به عند العلماء العرب ؟ هنا أيضا لا ينبغي أن نتصوّر أنّ العناية بالمصطلح قـــد ظهرت فجأة و دفعة لدى النّظّار العرب المسلمين . فالمصطلح العلمي يُعَدُّ وليد التّأليـــف العلمي الذي عرفه تراثنا العربي ، والثّابت أنّ المدوّنتين (**علوم العربية وعلوم الشريعـــة)** كانتا باكورة ما ألف فيه . يذكر أبو حاتم أحمد بن حـــمدان الـــــرازي (ت 322هـ) في مؤلّفه " **كتاب الزّينة** " مالا يقلّ عن ثلاثمائة كلمة اصطلاحية إسلامية كانت قبل الإسلام تعني شيئا ، وأصبحت به وبعده تعني شيئا آخر[1]. " **وبذلك تكون العـــربيّة قـــد دخلت إلى مستوى جديد من مستويات الاستخدام اللّغوي. فلم تعد كما كانت لغة الشّعر فقط . بل أصبحت أيضا لغة التّأليف والثّقافة .**" [2]

ولا شكّ أنّ دخول العربية في مجال التّأليف يدعو إلى استحداثات دلالية لأنّ المعاني الأصليّة لا تُعبّر عن الأفكار الجديدة . فكان لا بُدّ من تحميل ألفاظ كثيرة دلالات مبتكرة تبتعد قليلا أو كثيرا عن شقيقاتها المعجميّة . وهذه الدّلالات الجديدة التي خلعها العلماء على بعض الكلمات ، أو ولّدوا لها ألفاظا على طريقة العرب هي ما يُعبّر عنه بالمصطلحات العلميّة.[3]

ولّما اتّصل العرب بغيرهم من الأمم الأخرى الّذين دخلوا إلى المجتمع العربي الجديد. أدّى ذلك إلى نضج علميّ وثقافيّ ، نتيجة تلاقح مختلف العلوم منها (**اليونانـــيـــة والعـــربية**) وغيرها . فأدّى ذلك إلى خلق نسيج حضاريّ علمي منسجم ممّا أدّى بالعرب إلى خلق أفكار جديدة . وقد تناول الجاحظ (ت 255هـ) هذا المفـــهـــوم في عصره إذ يقـــول : "**وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكلّ تابع** " [4]. وبذلك اتّجه العلماء إلى متن العربية لاستقاء ألفاظ للدّلالة على هذه المعاني الجديدة ، إن أسعف متن العـــربيـــة

---

[1] ــ كتاب الزينة " أبو حاتم الرازي "، القاهرة ، ط2، 1957 م، ص 56.

[2] ــ علم اللغة العربية " محمود فهمي حجازي"، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، دط، دت ، ص 254.

[3] ــ المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب ، ص 33ــ 34.

[4] ــ البيان و التبيين " أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، دط دت ، 1 / 139.

وإلاّ لجأوا إلى التّوليـــد أو الاقتراض من اللّغات الأخرى كاليونانيّة مثلا ، فممّا لاشكّ فيه أنّ اطّلاع فيلسوف العرب " أبو **يوسف يعقوب ابن** إسحاق **الكـــنـــدي**" على ما تُرجم من كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية هو الذي جعله يعمد إلى إصلاح الفاســـــد من هذه الترجمة ، قصـــــد إصلاح ما فيها من خلل ، لمعرفته الجيّدة بقواعد النظم العربية ، لكنّها ـــ أي الترجمة ـــ هي التي أطلعته أيضا على كثير من المصطلحات العلمية غير العربية التي خصّها بالذّكـــر والشّرح في رسالته الحدود ، وفي المقابل وضع " **جابر بن حيّان** " رسالة في الحدود ضمّنها مفاهيم علمية عربية إلى جانب أخرى يونانية.[1]

ومعنى هذا في نظرنا ، أنّ نشأة المصطلح العلمي قد أستثمرت آثـــــارها التـــــي انتقلت إلى الفلاسفة المسلمين، وممّا لا شكّ فيه أنّ لأمثال الكندي و جابر بن حيان الفـــــضـــل في نقل المصطلحات العلمية اليونانية إلى اللغة العربية ، وهذا يقودنا إلى الحـــــديـــث عن التّرجمة و أثرها في التّفكير الاصطلاحي .

ثـــالـــثـــا: التّـــرجـــمـــة وأثرهـــــا في التّفكـــير الاصطلاحي

لقد أوجد الإسلام مناخا علميّا خصبا ، " **فظهوره كان دفعة قويّة للتّفكير العلمي لكي يفتح و ينتشر ويزيد من معارف الإنسان ورفاهيته** " [2]. لذا كان عليه في انتشاره الواسع والسّريع الاحتكاك بثقافات شعوب المناطق ذات التّراث الزّاخر، " فمن المعلوم أنّ الإسلام لم ينتشر في فراغ ، فالأمم التي اعتنقته أمم عريقة ، عرفت حضارات شتّى وثقافات متنوعة. لذلك فقد اتّصل الإسلام بهذه الأمم جميعا واتّصلت به ، وأخذ منها وأعطاها. فعرف حضارة الهند وحكمة إيران وفلسفة اليونان وشريعة الرومان ورهبنة النّصرانية ومذاهب التّصوّف ، واختلط بأقوام تنوّعت عقائدهم وتباينت مذاهـــبـــــهم وتعدّدت أجناسهم وتشعّبت آدابهم ، ونتج عن ذلك كلّه مزاج فكري واجـــــــتماعي

---

[1] ـــ ينظر : مجلة الحضارة الإسلامية ص 144 ـــ 145 .

2 ـــ أثر العرب و الإسلام في النهضة الأوربية "عبد الحليم منتصر" ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، دط، دت ، ص 184.

واقتصادي وروحي جديد ، أعطى الحضارة الإسلامية معناها و مبناها." [1]

ومع ما في التّرجمة من صعوبات ، إلاّ أنّ الفلاسفة العرب استطاعوا أن يَخرجـــــوا لنا بالأمور الكثيرة من تلك النصوص المترجمة ، فزادوا عليها ونقّحوها ، حيث أنّ " **الثّقافات الأجنبيّة كانت معينا لا ينضبّ ، استقى منه الفكر الإسلامي أهمّ مقوّماته . فاتّـــسعت آفاقه وتطوّرت إبداعاته وتعدّدت مناهجه ، وحقّق في فترة وجيزة جدّا من الزّمـــــن نهضة شاملة.**" [2]

لكن هذا أوقع فلاسفتنا موقعا ثانويّا عند بعض المحدثين ، الذين ذهبوا إلى أنّ فكر ابن سينا مثلا هو تماما ما جاء به أرسطو ، وكذلك الفارابي وغيرهما من الفلاسفة المسلمين.[3] إلاّ أنّ من يمعن النّظر فيما تركه هؤلاء من موروثات ، يُدرك دقّة الدراسات عندهم لأسباب أهمّها :

1 ــ الترجمة التي وصلت إليهم تميّزت بعدم الدّقّة وذلك يعود إلى أنّ معظم ما نقل إلى العربية من التراث اليوناني لم ينقل مباشرة ، بل مرّ أوّلا بالترجمة إلى السّريانية قبل نقله ثانية إلى العربيّة ، وكذا الغموض الذي تتّصف به كتب " أرسطو" بشكل خاص هذا وغيره ، ممّا زاد لغة الترجمة ركاكة وتعقيدا إلى حدّ جعل ابن سينا يعترف بأنّه قرأ كتـــاب" **ما بعد الطبيعة** " لأرسطو أربعين مرة و لم يفهم شيئا من معانيه .[4]

ونحن إن قلنا هذا ، فهذا لا يعني أنّ ابن سينا وغيره من الفلاسفة أمثال الكنـــــدي والفارابي وغيرهم كثير لم يتأثّروا بالفكر اليوناني بل بالعكس ، فمثلا ابن سينا جـــاءت

---

[1] ـ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية " محمد عبد الرحمن مرحبا " ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1420هـ 2000م ، ط1، 290/1.

[2] ــ ينظر : الموجز في تاريخ العلوم عند العرب " محمد عبد الرحمن مرحبا " ، دار الفيحاء ، بيروت ، دط، 1978م ، ص 189.

3 ــ الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه ، " أمينة طيبي" ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية سيدي بلعباس ، 1425هـ ، 2005م ، ص 10 .

4 ــ ينظر : الوافي في تاريخ الفلسفة " عبده الحلو" ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1995م ، ص 102، 103.

مؤلفاته ممزوجة بهذا الفكر ، ولكنه تحرّر منه ومن تأثير أرسطـــو عـــليه في مؤلفاته التي تمثلت في : " **الإشارات و التنبيهات**"، ومؤلفه الذي اختصـــــر فيـــه كتابه الشفاء وهو" **النّجاة** " حيث استعمل فيه المصطلحات التي تتماشى و اللغة العربية [1] ، يقـــول : **" حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء فقد آن لنا أن ننشئ فلسفة خاصّة بنا يريد بذلك أن يُصوّر النّظريات القديمة بصورة جديدة."** [2]

والنص هذا يبيّن منهج ابن سينا في كتاباته ، حيث أنّه كان ماهرا في جمع المادة ، وله القدرة اللّغويّة على توليد مصطلحات خاصّة به . ونفس الشّيء يُقال على الكندي الذي عاش في أوائل عصر الترجمة ، فهو أوّل من حذا حذو أرسطو في تفكيره و نهجه ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يظهر إبداعه واستقلال شخصيته ، في اختيار ما اختار من أرسطو ورفض ما رفض ، لقد أخذ بمقدار وترك بمقدار.[3]

2 ــ إنّ الفكر اليوناني لم يسلم من أخطاء وعيوب النقل إلى اللغة العربية ، ممّا جعل نتائجه تظهر متأخرة " **كيف لا ؟ و الكتب اليونانية الأصلية لم تصل إليهم في نصّـــها وإنّما وصلت إليهم شروحا وحواشي وتعليقات تتفاوت في قدرتها على فهم النص واستيعابه .**" [4]

3 ــ كثير من النقلة كانوا من غير الفينيقيين المتخصّصين ، إذ كان معظمهم من أطباء مدرسة جنديسابور" **فكان إذا أشكل على الناقل فهم نصّ من النّصوص عمد إلى حذف ما يشكل عليه أو استعاض عنه بقول فيلسوف آخر، أو حاك الثّغرة بين سابق النـــص ولاحقه من نسج خياله الخاص ، مُتأثّرا في ذلك بمزاجه الشّخصي وبثقافته العقليّـــــة**

---

[1] ــ ينظر : علاقة المنطق باللغة عند الفلاسفة المسلمين " حسن بشير صالح"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ، ط 1 2003م ، ص 78 ، 80 .

2 ــ تاريخ الفلسفة في الإسلام " دي بور" ، نقله إلى العربية و علق عليه : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مكتبة النهضة المصرية ، دط دت ، ص 25.

3 ــ ينظر : الكندي فلسفته ، ص5 .

4 ــ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية 296/1.

واتّجاهه الروحي و المذهبي ." [1]

وانطلاقا من هذه الأسباب ، يمكننا أن نتصور مبلغ العناء و العنت الذي لاقاه فلاسفتنا عندما أقدموا على الاشتغال بالكتب المترجمة " **فإلى جانب أنّهم كانوا على غير صلة بالموضوع المنقول إلى لغتهم ، كان الأسلوب الذي نقل به إليهم غامضا مبهما عصـــيّا على الفهم ، فكان أحدهم إزاء هذه الحال إمّا أن يتّهم ذاته ، أو أن يتّهم الفلسفة بمـــا لا يُحمد .**" [2]

ورغم هذه الصّعوبات التي واجهت الفلاسفة في الترجمة ، إلاّ أنّهم لم يقفوا عند هذا الحد بدليل " **إعادة ترجمة الكتاب الواحد مرّات متعدّدة عن مصادر مختلفة ومقابلة التّرجمات بعضها ببعض ، وكانت هذه الطّريقة من الأساليب المتّبعة بين العلماء للوصول إلى النصّ الأصلي الصّحيح .**"[3]

وهذا وإن دلّ على شيء ، فإنّما يدل على قدرة الفلاسفة على تطويع اللغة العربية تماشيا مع مقتضيات العلوم الدّخيلة ، فوضعوا اسما لكل مخترَعٍ ، واصطلاحا لكل فكرة وأعادوا بناء عالمهم الفكري بآفاقه العمليّة طبقا لذهنيتهم المتجدّدة بين الأصيل و الوافد.[4]

هذا ، وتبقى الترجمة دائما تخِلّ بالمعنى إخلالا لا يمكن تداركه ، وإزالة هذا الخلل يعـــتبر من المستحيلات ، فقد نصّ " **أبوحيان التوحيدي**" (ت 400 هـ) " **على أنّ الـــترجمـــة من لغة اليونان إلى العبرانية ، ومن العبرانية إلى السّريانية ، ومن السّريانية إلى العربية قد أخلّت بخواص المعاني في أبدان الحقائق إخلالا لا يخفى على أحد ، ولو كانت معـــــاني اليونان تهجس في نفس العرب مع بيانها الرائع وتصرّفها الواسع و افتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نـــقـــــص ولو كنّا نفقه من الأوائل أغراضهم بلغتهم ، لكان ذلك أيضا ناقعا للغليل ونـــاهـــجا**

---

[1] ــ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية 296/1.

[2] ــ نفسه :1/ 297.

[3] ــ نفسه :1/ 315.

[4] ــ موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف "جيرار جهامي" ، مكتبة لبنان ، ط1، 2000م ، ص 771.

للسّبيل ومُبلّغًا إلى الحدّ المطلوب." [1]

وقد تعرّض كثير من الباحثين لمشكلة الترجمة وقصروها على تصوير كل ما يتضمّنه النص المترجم من أفكار ، وأحسّ القائمون بالترجمة في كل العصور بتلك الصّعوبات اللغوية التي تُصادفهم ، ووقفوا على بعض أسرارها ، ولكنّـــــهم مـــع هذا لم ينصـــرفوا عن الترجمة ، بل ظلّوا يُتابعون جهودهم جيلا بعد جيل.[2]

وممّا تجدر الإشارة إليه ، أنّ العرب تأثّروا أيّما تأثّر بالترجمة السريانية للنّصوص اليونانيّة فكانوا يلفظون الكلمات كما هي في اللغة السريانية ، لاكما هي في اللغة اليـــــــونانية إذ يقولون مثلا : **سقراط** و **أفلاطون** و **إقليم** و **فندق** لا **سقراطيس** و **بلاطون** و **قلـــيما** و **بندوخيون** ، كما يقول اليونان ، وممّا يلفت النّظر هنا أيضا ، أنّ العرب سمّوا اليـــونان لا بالاسم اليوناني **[هيلين]** بل بالاسم السرياني **[يونان]**.[3]

هذا يدفعنا إلى القول إنّ المصطلحات التي أوجدتها ترجمة العلم إلى العربية دخلت اللغة العربية واندرجت مع ألفاظها واشتملت عليها معجماتها القديمة ، وكانت صالحة للتّعبير عن علوم القدماء .[4] وفي المقابل الفلاسفة فهموا الفكر اليوناني فهما تامّا ، إذ اعتمد هذا الأخير على المنطق الذي هو آلة الفكر ، ممّا جـــعل للفلاسفة تفـــكيرهم الخـــــــاص ومصطلحاتهم الخاصّة بهم ، حيث تُقرّ الآنسة **" غواشون "** في كتابها **" المقارنـــــــة بين الحدود الفلسفية "** أنّ مصطلحات ابن سينا ليست هي مصطلحات أرسطو.[5] وهذه المقولة تحتّم علينا البحث في مصادر المصطلحات الصّوتية.

---

[1] ـــ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية 1/ 319 وينظر : المولد ـــ دراسة في نمو و تطور اللغة العربية ـــ "حلمي خليل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، دط ، 1978م ، ص 501.

[2] ـــ ينظر : دلالة الألفاظ " إبراهيم أنيس "، مكتبة الأنجلو المصرية ، دط ، 2004م ، ص 131.

3 ـــ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، 1/ 320.

4 ـــ دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب " شحاده الخوري" ، قدم له : عبد الكريم اليافي ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، ط1، 1989م ، ص 27.

5 ـــ الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ، ص 14.

رابـــعـــا: مـــصادر المـــصطـــلـــحات الصّوتيّة عند الفلاسفة

لّما كثر التّأليف العلمي وكثرت معه المصطلحات العلمية ، احتاج النـــــــاس إلى كتاب يجمع مصطلـــــحات كل العلوم منها : **مفاتيح العلوم للـــــــــــخوارزمي** (ت387 هـ) إذ يشير" **أحمد مطلوب** " إلى أنّ هذا الأخير أقدمُ كتاب موسوعيّ بالعربية يتعرّض للعلوم ومصطلحاتها.[1] و يقدّمه صاحبه بقوله : " **وقد جمعت في هذا الكتاب أكثر ما يُحتاج إليه من هذا النّوع ، مُتحرّيًا للإيجاز والاختصار ، و مُتوقّيًا للتّطويل و الإكثار وألغيت ذكر المشهور و المُتعارف بين الجمهور ، وما هو غامض غريب.**" [2] ويذكر أنّه أراد منه أن يكون " **جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصّناعات مُتضمّنًا ما بين كـــــل طبـــــقة من العلماء من الموضوعات و الاصطلاحات التي خلت منها ، أو من جُلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة.**" [2]

وكشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتّهانوي (ت 1362 هـ) ، يعتبر حلقة وصل واتّصال لنحت المصطلح المستحدث ، إذ حوى جميع مصطلحات العلوم المتداولة بين الناس ، وعن أهمّية المصطلح في تحصيل العلوم يقول التّهانوي : " **إنّ أكثر ما يُحتاج به في تحصيل العلوم المُدوّنة و الفنون المُروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح . فإنّ لكل علم اصطلاحا إذا لم يعلم بذلك ، لا يتيسّر للشّارع فيه إلى الاهتداء ســـــــبيلا ولا إلى فهمه دليلا.**" [3]

أمّا فيما يخصّ كتاب " **الكليات**" فقد جمع فيه " **أبو البقاء** " (ت 795 هـ) كلّ ما اصطلح عليه العلماء السّابقون عليه ، أو المعاصرون له ، من مصطلحات في شتّى الفنون . " **وهو أيضا مرجع زخّار للمهتمّين بالدّراسات اللغوية ، وبخاصّة لهؤلاء الذين يقومون بمحاولات في تتبّع مسار حياة الألفاظ العربية ، كيف تشبّ وتغنى، ثمّ كيف يتغيّر مدلولها بمقتضيات المعطيات الحضارية ، التي تُولد مع تطور المعارف الإنسانية صبـــاح**

---

[1] ــ ينظر : بحوث لغوية " أحمد مطلوب " ، دار الفكر ، عمان ، ط1، 1987م ، ص 170.

[2] ــ مفاتيح العلوم " الخوارزمي " ، تحقيق : جودت فخر الدين ، دار المناهل ، بيروت ، ط1 ، 1991م ، ص 12.

[3] ــ كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، 1/ 37.

كل يوم . وبذا يُحتاج إلى المصطلح والكلمة المنحوتة ، والكليات غني يـــجـــمـــع ما اصطلح عليه السّابقون والمعاصرون له ." [1]

و لم تكتف العرب بهذه الكتب ، بل احتاجت إلى معاجم ثنائية ، مثل : المعجم العربي الفارسي " **سواء السّبيل إلى معرفة الدّخيل**" [2] ، و المعجم العربي التركي " **الأوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط** ".[3]

فالعربية إذن ، استطاعت أن تنقل المفاهيم نقلا صادقا ، وقد تحقّق هذا للعـــــربيـــة في الوقت الذي كان النّاطقون بها يُمثّلون حضورا عالميا. وفي المقابل ، وعـــلى الرغـــم من تأخر الحقبة الزمنية التي يقع فيها الفلاسفة المسلمون إذا ما قيسوا بغيرهم من دارسي المصطلحات الصوتية ، إذ يُعدّ الخليل بن أحمد الفاراهيدي (ت 175 **هـ**) ، أوّل من أسّس الدرس الصوتي على وفق حاجته التي دعته إلى الدراسة ، ووضـــــع الأســـس الصوتية التي تُعينه في ترتيب معجمه ، وجعلها مقياسا للكلمات ، مُؤسّسا بـــذلك مدرسة صوتية تفـــرّدت عن غيرها من المدارس. إلاّ أنّه لا يمكن لأحد من الدارسين أن ينكر التطور الصوتي الذي أحدثته المدرســـة الفلسفيـــــة في دراســـة الأصـــوات والمصطلحات الصّوتية. حـــــيث استفاد الفلاسفة من النتائج التي توصّل إليها النحاة و اللغويون والقراء في مجال الصوتيات العربية ، إضافة إلى الفكر الفلسفي اليوناني ، الأمر الذي لم يتوفر للأوّلـــين . لذا كانت مصطلحاتهم دقيقة و خصبة في الوقت نفسه .[4]

فكتاب " **الموسيقى الكبير**" للفارابي مثلا لا يخلو من عبارة : " **يُسميه العرب** " يقـــول الفارابي : " **وكل حرف متحرك أُتبع بحرف ساكن فإنّ العرب يُسمّونه السّبـــــب**

---

[1] ــ الكليات : ص 5 .

[2] ــ المعجمات العربية بيلوجرافية شاملة ومشروحة " حسين نصار ، وجدي رزق غالي " ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر دط، 1971م ، ص 99.

3 – نفسه : ص 89.

4 ــ الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين : ص 8.

الخفيف ، وكل حرف متحرك أُتبع بحرف متحرك فإنّهم يُسمّونه السّبب الثّقيل ." [1] كما لم يخل كتاب الرازي (ت 606 هـ) " **التفسير الكبير**" من ذكـــر علمـــاء اللغة والنحو ، يقول : " **وفي جواز إمالته قولان للنّحويين أحدهما : أنّه يجوز ولعلّه قول سيبويه.**"[2] ويبقى ابن سينا الوحيد الذي تخلو كتبه ــ بحسب ما اطّـلـعت ــ من أيّ إشارة إلى التّأثّر بالدّراسات السّابقة ، ومردّ ذلك إلى اختلاف منهجه ، حيث استفاد من عمله كطبيب مختصّ في التّشريح.

ويمكن أن نستدل على هوية المصطلح الصوتي عند الفلاسفة من خلال المصنّفات التي تركوها. فلفيلسوف العرب " **أبويوسف الكندي**" رسالة في الصّوتيات عنوانهـــا " **استخراج المعمىّ** " حيث تكلّم عن تردّد أصوات العربية ودورانها في الكلام ، مُعتمـدا على إحصاء صنعه بنفسه. وذكر قانونا لغويا عامّا يسري على كل اللّغات ، وهو كـونُ المصوّتات أكثر الحروف تردّدا .[3] وله رسـالة أخرى لها علاقـة بالدرس الصّوتي ومصطلحاته هي رسالة " **اللّثغة** " تقع في ثمانية أبواب . تحـدّث في البـاب الأول عن مصطلحات أعضاء النّطق عند الإنسان ، وفي الباب الثاني عن صلة النّطق بالحرف وعرّف اللّثغة في الباب الثالث ، ووصف في الباب الرابع أصوات العربية ، وخصّص الكندي الباب الخامس للأصوات التي تُصيبها اللّثغة ، ويشير في البـاب السـادس إلى عيوب النّطق ، وفي الباب السّابع محاولة لمعالجة الألكن والأخنّ. ويعود الكنـدي في الباب الثامن من رسالته فيعرض وجوهها الثلاثة .[4]

---

[1] - كتاب الموسيقى الكبير " أبو نصر محمد الفارابي " ، تحقيق و شرح : غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة و تصدير : محمد أحمد الحفني ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط، دت ، ص 1076.

[2] - التفسير الكبير " للإمام الفخر الرازي " ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3، دت، 105./1

3 ــ البناء الصوتي في سورة الكهف ــ دراسة صوتية و تشكيلية ، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير" صباح دالي "، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، 1422 هـ ، 2001م ، ص 14 نقلا عن : دراسة علم الأصوات عند العرب " محمد حسان الطيان " ص 287.

4 ــ مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العر بي ــ أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه ــ " آمنة بن مالك "، معهد اللغة و الأدب العربي ، الجزائر ، 1987م ، ص 80 ــ 82 .

في حين أحاط إخوان الصّفا (القرن الرابع الهجري) بالمصطلحـــات الأساسيّة للصّـــوت و بالضّبط المصطلحات الضّابطة لأعضاء النّطق ، فقد فرّقوا بين الصّوت و الكلام إذ قالوا: **" إنّ الكلام هو صوت بحروف مقطّعة دالّة على معان مفهومة من مخارج مختلفة ، وأبعد مخارج الحروف أقصى الحلق وهو ما يلي أعلى الصّدر، و الصّوت من الجسم في الرّئة بيت الهواء ، وأصل الأصوات في الرّئة هواء يصعد إلى أن يصير إلى الحلق فيديره اللّسان على حسب مخارجه ، فإن خرج على حروف مقطّعة مؤلّفة ، عُرِف معناه وعلِمَ خبره ، وإن خرج على غيرعُرف لم يُفهم ، كان النّهاق و الرّغاء والسّعال وما أشبه ذلك ، فإن ردّه اللّسان إلى مخرجه المعلوم في حروف مفهومة يسمّى كلاماً ونُطقًا."** [1]

ورغم أنّ للفلاسفة المسلمين مرجعية ثقافية يونانية ، إلاّ أنّهم أعطوها أبعادا نظرية جديدة يقول " **كمال بشر**" : **" إنّ دراسة العرب لأصوات لغتهم إنّما هي دراسة أصيلـــــة ليست منقولة في منهجها أو طريقة التّفكير فيها عن غيرهم من الأمم . والقول بأنّها ترجع إلى أعمال الهنود أو اليونان في دراستهم الصوتية قول تعُوزه الأدلّة العلمية ، التي تستطيع أن تُولِّدَ هذا الزعم وأن تنفيهِ ، على أنّ النّظر الدقيق في جملة ما طلع علينا به علماء العربية في مجال الأصوات اللغوية يحملنا على الجزم بأنّ هؤلاء العلماء كانوا يصدرون عن عقليتهم الخاصة وثقافتهم العربية ".**[2]

فالفارابي مثلا يُعدّ واحدا ممّن اعتنوا بالدّراسة الصّوتية ومصطلحاتها ، إذ انطوى كتابـــــه " **الموسيقى الكبير**" على عدد كبير من المصطلحات الصّوتية ، فهو يتجاوز مفهوم أرسطو للمقطع ، فالمقاطع لا معنى لها وهي مفردة في اللغة اليونانية إلاّ أنّه لاحـــــــظ في العربية بعض المقاطع التي تبقى دالة على معنى وإن كان يختلف عن المعنى الذي تُعطيه وهي متوالية[3] يقول : **" أمّا المقطع الواحد من مقاطع الاسم فليس بدال ، لكنه حينئذ**

---

[1] ــ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر ، بيروت ، دط ، دت ، 3 / 114.

2 ــ في علم اللغة العام " شرف الدين الراجحي" ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، دط، 1429 هـ ، 2008م ، ص 133 .

3 – الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين : ص 16.

صوت فقط ، فإنّه متى أخذ شيء منه جزءا لاسم مفرد لم يكن دالاّ على جزء المعـــنى الذي يلي الاسم على جملته ، لكنّه يكون حينئذ كحرف واحد فلذلك جعله صوتا فقط ، وينبغي أن يُؤخذ هذا على أنّه جزء بالإضافة إلى اسم ما أشار إليه ، فإنّ كثيرا من أجزاء الاسم ربّما كان اسما مفردا لم يُقصد به حيث أخذ جزءا للاسم المفرد أن يكون جزءا له ، على أنّه قد كان اسما دالاّ مثل قولنا : ـــ أبكم ـــ في العربية . فإنّ قولنا : أَبْ وقولنا كَمْ كل واحد منهما دال على انفراده لا من حيث هو جزء للاسم ولكن يقال في أمثال هذه إنّ أجزاءها دالة بالعرض." [1]

وإن كان أرسطو قسّم الأصوات إلى صامتة و مصوّتة ، فالفارابي ومن بعده ابـــــن سينا قسّموها إلى ثلاث مجموعات : **" الصّامتات التي لها نصف صوت والمصوّتات وهذه الأخيرة تنقسم إلى أصوات ممدودة وأصوات مقصورة ، والمقصورة هي الحركـــــات وحروف العلّة : الألف و الواو والياء و الممدودة تسمّى أيضا المدّات ، ومن المحتمل أن تكون الحركات الطويلة."** [2]

وحمل إلينا القرن الخامس الهجري رسالة عظيمة في الأصوات اللغوية ، يقول أحد المحدثين **" وحديث ابن سينا في هذه الرسالة أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء ، فلا نكاد نلمح فيها أنّه تأثّر كغيره بكتاب سيبويه ، فله مصطلحاته وله وصفه الأصيل لكلّ صوت ، ممّا جعله محلّ إعجاب وتقدير من بعض اللّغويين المحدثين."** [3]

ورغم اطّلاع الفلاسفة على ثقافة كلّ من اليونان والنحاة واللّغويين ، إلاّ أنّ لهم مصطلحاتهم الخاصّة بهم ، التي تتماشى مع طبيعة تفكيرهم وعملهم واتّجاهاتهم وقد اختلفت مصطلحات الفلاسفة الصّوتية عن مصطلحات النحاة و اللغويين لأسباب منها :

---

[1] - الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين : ص 16 ، نقلا عن : كتاب أرسطو طاليس في العبارة ص 49.

[2] ـــ نفسه : : ص 16 ـــ 17 نقلا عن : التفكير اللغوي بين اليونان و العرب ص .100

3 ـــ المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي " رمضان عبد التواب " ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1405 هـ 1985 م ، ص 17 ـــ 18 .

1 ــ أنّ الدافع الأساس الذي دفع الفلاسفة إلى دراسة الأصوات [1] هو محاولتهم الإجابة عن عدد من الأسئلة التي طرحوها من نحو تساؤلهم عن طبيعة العملية الصّوتية ؟ وما هي الكيفية التي تحدث بها ؟ وكيف لها أن تنتقل من مصدرها إلى متلقّيها ؟ [2]

ومن هنا كانت الإجابات عن هذه الأسئلة المدخل الذي فتح الباب على هذا العلم وبدأ الفلاسفة بدراسته . ومن هنا أخذت الدراسة الصوتية تنمو وتتطور عندهم . إذ أخـــــذ مُتأخّرهم عن متقدمهم أولّيات ومصطلحات هذا العلم ، وأضاف إليه ما استجدّ عنـــده من مادة صوتية.

2 ــ انطلق الفلاسفة في دراستهم للأصوات من الرغبة في الوصول إلى حقائق عن العملية الصوتية في شكلها العام ، ولذا لم تبرز معالم دراسة الأصوات و المصطلحات الصوتية بشكلها المُفضّل و الدّقيق إلاّ عند ابن سينا. 2

3 ــ سعيُ الفلاسفة في دراستهم للأصوات إلى تقديم بناء معرفي صوتي قائم على رصد الجانب الفيزيائي للعملية الصوتية ، فضلا عن استثمار الوعي الطبّي الذي فرضته المعرفة الموسوعية على علمائها.

كل هذه الأسباب جعلت الفلاسفة يسيروا على خط منهجي واحد في دراستهم للمصطلحات الصوتية ، وهو أمر يدعونا إلى الاعتزاز بالجهد الذي بذلـــــه هـــــــؤلاء في دراستهم للجانب الصوتي . وعلى الرغم من أنّ نظرة الفلاسفة لم تتجاوز الجزئية و لم

---

[1] ــ من أهم دوافع الدرس الصوتي عند العرب: اللحن الذي مسّ الأصوات فأخل بنطقها ، وكذا الاختلافات الصوتية بين القراء، والحرص على تلاوة القرآن الكريم كما ارتضاها الخالق . كما أدرك العلماء أهمية الدرس الصوتي بالنسبة إلى علوم اللغة ، فقد تنبّه أصحاب المعاجم إلى دور الصوتيات في قضايا المعجم ، أمّا النحاة فقد صادفتهم ظواهر تطلبت منهم التمهيد لها بدراسة الأصوات مثل الإدغام و الإبدال.ينظر : المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب ص 1ــ 13، أمّا دافع ابن سينا للتأليف في الأصوات فيروى أنّ الشيخ كان جالسا يوما بين يدي الأمير وأبو منصور الجبائي حاضر ، فجرى في اللغة مسألة تكلم فيها الشيخ بما حضره فالتفت "أبو منصور" إلى الشيخ يقول: " إنك فيلسوف وحكيم ولكنك لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها"، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها.ينظر : الإشارات و التنبيهات 1/ 139.وينظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ابن أبي أصيبعة "، تحقيق: نزار رضا ، بيروت ، دط ، 1965م ، ص 442 ، 443.

[2] ــ ينظر : المدارس الصوتية عند العرب ــ النشأة و التطور ــ " علاء جبر محمد"، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1427 هـ 2006م ص 178.

تظهر في شكل نظرية صوتية متكاملة ، إذ فرضت عليهم طبيعة الدراسة أن تكون المـــادة عندهم منثورة في بطون مؤلّفاتهم ، ومع أنّ الدراسة عندهم تفاوتت بيـــن عالم وآخـــر إلاّ أنّ منهجيتهم تكاد تكون منهجية شاملة تسري على جميع ظواهر علم الأصـــوات . وإن كانت الموضوعات لديهم تعتمد على التجربة الفردية كقياس سرعة الصّوت بالنسبة للضوء . وقد أخذت هذه المنهجية بعد ذلك تتحول من ملاحظة فردية مجرّدة ، إلى قانون شامل تناقلوه فيما بينهم.[1]

إنّ الحكم على منهج الدراسة الصوتية عند الفلاسفة المسلمين ، سيؤكّد أنّ المصطلحـــات التي استخدمها الفلاسفة أغلبها مستقاة من الطّبيعة ، ولا علاقة لها بمصادر النحـــــــــاة واللغويين . حيث اعتمد الفلاسفة في دراستهم على مصطلحات صوتية مختلفة تفردت بها عن غيرها من المدارس ، كما في مصطلحي **القرع و القلع** ، **الحدّة و الثّـــقـــل**[2] وغيرها من المصطلحات. إذ امتازت هذه المدرسة بظهور عدد كبير منها ، تداولها علماؤها ، وحاولوا بيان مفاهيمها ، وهو الأمر الذي يدلّ على وجود منظومة اصطلاحية خاصّة بالفلاسفة .

وقد شهدت المصطلحات الصّوتية تطوّرا ملحوظا على يد ابن سينا ، الذي استعان بمعارف كثيرة ، وجال في علوم عديدة لصياغة مصطلحه ، فلقد تنوّعت دراسته الصّوتية ، لتشمل الحديث عن علم الأصوات الطّبيعي ، ابتداء من طبيعة الصّوت وحدوثه وانتقاله ، وصولا إلى العملية السّمعية ، فضلا عن دراسته التّفصيلية لعلم الأصوات النّطقي والوقوف على مصطلحات أعضاء النّطق وتفصيلاتها ، وحديثه عن الحروف العربية ، وكيفية حدوثها ، وبيان خصائصها*.

والظاهر أنّ سعي ابن سينا وراء الدّقّة العلميّة ومحاولته إيجاد التعبيرات المناسبة ، هما سببا اهتمامه بالمصطلح الصوتي الذي كان متداولا في عصره مثل : **الرّطوبة** ، **والـــيـــبوســـة والتّماس**، **والحفز**...إلى غير ذلك من المصطلحات التي قام بتوليدها ، فـــــلـــــه القدرة

---

[1] ـــ المدارس الصوتية عند العرب ـــ النشأة و التطور ـــ ص 174 .

[2] ـــ ينظر تفصيل هذه المصطلحات في الفصل الأول من هذه المذكرة .

* ـــ لمعرفة المصطلحات الضابطة لمخارج الأصوات وصفاتها ، ينظر : الفصل الأول من هذه المذكرة .

على توليد مصطلحات خاصّة به ، مثل : **السّـــبب القـــــريب ، و السّبـــب البعيد والسّبب الأكثري و السّبب الكلّي** . فمعظم ألفاظه مصطلحـــات تدلّ على تمـــــكّنه من مسائل وفنون العلم الذي يتناوله. فإذا أردت فهم فقرة أو نصّ من كتاباته العلميـــــّة فعليك الوقوف عند كل لفظة ، وكل عبارة ، وتسبر مقصودها ومفهومها ، كي تـــفهم مغزى كلامه المكثّف العميق . وقد ساعدته ملكتـــــــه اللّـــــغوية في السّـــــيطرة على مصطلحات كلّ علم بل إبداع مصطلحات دقيقة ، يتناسب فيها الاسم مع المسمّى والمصطلح مع ما يُقابله من المصطلحات الأخرى في النّسق المعرفي لمجال بعينه . فمثلا استخدامه لكلمة (**هيئة**) وجمعها (**هيئات**) ، بمعنى شكل **Form** أو تكوين معيّن **Configuration** وهذه الكلمة يمكن اعتبارها ترجمة دقيقة ومُعبّرة عن كلمة **Configuration** التي يستخدمها علماء الأصوات الغربيون المحدثون في التّعبير عن الشّكل الذي يتّخذه الممرّ الصّوتيّ ، لتكوين إصدار الصّوت المعيّن .[1] فيقـــــول في تعريف **الصّوت** (**الحرف**) : " **والحرف هيئة للصّوت عارضة له ، يتميّز بهـــــــا عن صوت آخر مثله في الحدّة و الثّقل تميّزا في المسموع.**" [2] ويصف حدوث الصّوت بقوله :" **وأمّا حال المُتموّج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخـــارج و المحابس في مسلكه فيفعل الحرف.**" 2

وإذا تأمّلنا الجملتين السّابقتين ، جملة تعريفه للصّوت ، وجملة وصفه حدوث الصّوت نجد أنّه استخدم ألفاظا تُعَدُّ كل واحدة منها مصطلحا له مفهومه العلميّ الخاص ، وله مدلوله الوصفيّ الدّقيق.[3]

---

[1] ـــ ينظر : علم الأصوات عند ابن سينا " محمد صالح الضالع "، دار المعرفة الجامعية ، ع ش موتير ، الاسكندرية ، دط، دت ص 17، 18.

2– رسالة أسباب حدوث الحروف " الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا "، تحقيق : محمد حسان الطيان ، ويحيى مير علم مراجعة وتقديم : شاكر الفحام ، أحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، ط1، 1403 هـ ، 1983م ، ص 60.

3– علم الأصوات عند ابن سينا : ص18.

وهناك عدّة عوامل ساعدت ابن سينا على أن يُوليَ المصطلح العلمي العناية و الدّقّة منها :

1 ــ تمثّله وفهمه للفكر اليوناني[1].

2 ــ ورث ابن سينا فكرة أنّ العلم الرّياضي هو الأنموذج لكلّ دقة وسلامة 1 ، ولذلك فقد وظّف مصطلح " **نسبة** " في مواطن عدة من رسالته.[2]

3 ــ اتّسعت دائرة كل علم وفن في عصر ابن سينا ، وتعدّدت الآراء والنّظريات فكان عليه أن يضع الحدود الدقيقة كي تتميّز بها الأشياء ، ويُؤمنَ اللّبس .1

4 ــ أدّت دقّة ابن سينا العلميّة وإحكام شروحه المنطقية ، إلى الاهتداء بالحدّ ، حيث أنّه ألّف مسردًا موجزا لأهمّ المصطلحات عنوانه : " **الحدود** " عرّف فيه معظم المصطلحات التي استخدمها1 .

يمكننا القول ، إنّ الجهد العلميّ للفلاسفة واضح جدّا ، ومساهمتهم في دراسة المصطلحات الصّوتية بدت أكثر وُضوحا . فنحن نجد الفكرة المعيّنة أو المصطلح مثلا يبدأ عند أوّلهم لتتّسع عند متأخرهم ، وتأخذ ما هو أشمل وأوسع في الدراسة ، مكوّنين بذلك منظومة ومصدرًا شاملا للمصطلحات خاصّ بهم. وفي هذه الرسالة دراسة للمصطلح الصّوتي عند ابن سينا ، الذي اختلف في طريقة دراسته للمصطلحات عن سابقيه ولاحقيه حيث أنّه أتى بمصطلحات جديدة لم يشركه فيها أحد من علماء العربية . فما هي هذه المصطلحات الصّوتية التي ابتدعها ابن سينا ؟ هذا ما سنحاول الكشف عنه في فصول هذه المذكرة .

---

[1] - علم الأصوات عند ابن سينا : ص 19 .

[2] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ص 74ــ 75 ــ 83.